الجامعة المستنصرية المرحلة الثانية/الدراسة الصباحية

كلية الآداب المادة : مناهج المفسرين

قسم اللغة العربية الدكتور إسماعيل عباس حسين

الفرق بين التفسير والتأويل

يمكننا أن نعرف علم التفسير بأنه العلم الذي يبحث عن كل المعاني القرآنية المحتملة التي تدل عليها الألفاظ، سواء ما يتعلق منها باستنباط الأحكام الشرعية، أو ما تعلق بها بمعرفة المعاني الواردة في القرآن، ويستعين المفسر بأدوات التفسير التي تمكنه من معرفة المراد بالقدر الممكن.

فهو العلم الذي يبحث عن معاني القرآن ودلالاته بحسب ما تفيده الدلالة اللفظية، ويستعين لذلك بما ييسر له الأمر. فالمفسر يبحث عن مراد الله من خلال الدلالة اللفظية، إذ لا يمكنه أن يكشف مراد الله إلا عن طريق تلك الدلالة.

أما التأويل في اللغة فهو لفظة مأخوذة من الأول، يقال آل الأمر إلى كذا أي صار إليه، وأصله من المآل وهو العاقبة والمصير، يقال: أوّلته فآل أي: صرفته فانصرف، وأوَّل الكلام تأويلاً: دبره وقدره وفسَّره, وكأن التأويل يعني صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

وجاءت لفظة التأويل في القرآن في قوله تعالى: {ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً} [الكهف: 82]، وقوله: {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ} [الأعراف: 53]، وقوله: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَاب } [آل عمران: 7]، وقوله: {فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59].

واستعملت لفظة التأويل في مواطن كثيرة في القرآن الكريم في معرض تأويل الأحلام وتأويل الأحاديث، وكأن هذه الاستعمالات للفظة التأويل تفيد أن التأويل أمر يختص بتفسير الأشياء الغيبية مما لا يتعلق بالألفاظ والمفردات اللغوية، فالتأويل هو تفسير إشارات واستلهام معاني من مفردات وحوادث ووقائع مما لا يخضع للمعايير التفسيرية المحكمة التي لا يملك المفسر فيها حق الخروج عن مقتضى الدلالات اللغوية.

ويمكننا أن نلاحظ أن الفرق بين التفسير والتأويل كما هو واضح في الاستعمالات اللغوية كبير، وقد استعملت لفظة التأويل حيث لا يجوز أن تستعمل لفظة التفسير، فالتفسير توضيح وبيان لمعاني مفردات، ويخضع المفسر لضوابط لغوية، بحيث لا يملك المفسر أن يخرج عن إطار الدلالة اللغوية، بخلاف التأويل فهو تفسير خفي للإشارات والمواقف، ويغلب عليه جانب الإلهام المعتمد على قوى عقلية خارقة أو على قوة روحية متميزة.

فالتأويل مضافاً إلى أنه رفع إبهام, فهو دفع شبهة أيضا , فحيث كان تشابه في اللفظ كان إبهام في وجه المعنى أيضا. فالتأويل يدل على بيان معنى اللفظ والكشف عنه , وهو بهذا متفق مع لفظة (التفسير) بصورة جوهرية في المعنى , إلا أنه برزت اتجاهات ومذاهب تحدد مدى التطابق بين اللفظتين, نذكر منها:

1- الاتجاه العام لدى قدماء المفسرين الذي يميل إلى القول بالترادف بينهما, فكل تفسير تأويل , والعكس صحيح أيضاً ومنهم مجاهد والطبري.

2- الاتجاه العام لدى من تأخر عنهم من المفسرين الذي يميل إلى القول : بأن التفسير يخالف التأويل في بعض الحدود , والتي أهمها:

أ- التمييز بين التفسير والتأويل في طبيعة المجال المفسَّر , ويقوم هذا المذهب على أساس القول بأن التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص, فالتأويل يصدق بالنسبة إلى كل كلام له معنى ظاهر , فيُحمل على غير ذلك المعنى , فيكون هذا الحمل تأويلاً, والتفسير أعم منه؛ لأن بيان مدلول اللفظ مطلقاً أعمُّ من أن يكون هذا المدلول على خلاف المعنى الظاهر أولاً.

ب- التمييز بين التفسير والتأويل في نوع الحكم, ويقوم هذا المذهب على أساس القول بأن التفسير والتأويل متباينان, لأن التفسير هو القطع بأنَّ مراد الله كذا , والتأويل هو ترجيح أحد المحتملات بدون قطع , وهذا يعني أن المفسر أحكامه قطعية , والمؤول أحكامه ترجيحية.

ج- التمييز بينهما في طبيعة الدليل , ويقوم هذا المذهب على أساس القول بأن التفسير هو بيان مدلول اللفظ اعتماداً على دليل شرعي , والتأويل هو بيان اللفظ اعتماداً على دليل عقلي.

فمن خلال ما سبق يتبين لنا : أنَّ التفسير هو رفع الإبهام عن اللفظ المشكل, فمورده أبهام المعنى بسبب تعقيد حاصل في اللفظ ؛ وأما التأويل فهو دفع الشبهة عن المتشابه من الأقوال والأفعال, فمورده حصول شبهة في قول أو عمل , أوجبت خفاء الحقيقة أو المعنى المراد فالتأويل ازاحة هذا الخفاء .

أمثلة من التأويل:

يقول القرطبي في قوله تعالى **{ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ }** (المائدة 64 ) : (اليد في كلام العرب تكون للجارحة كقوله تعالى **{ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا }** (سورة ص44 )، وهذا محال على الله تعالى. وتكون للنعمة؛ تقول العرب: كم يد لي عند فلان، أي كم من نعمة لي قد أسديتها له، وتكون للقوة ؛ قال الله عز وجل **{ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ }** (سورة ص 17 )، أي ذا القوة. وتكون لإضافة الفعل إلى المخبر عنه تشريفاً له وتكريماً؛ قال تعالى: **{ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ }** (سورة ص75) قال الشوكاني: (أضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له وتشريفاً مع أنه سبحانه خالق كل شيء، قال مجاهد: اليد هنا بمعنى التأكيد والصلة مجازاً وقيل أراد باليد القدرة .

فالأصل في هذه الصفات أنها جوارح لكنها تطلق في لغة العرب كثيرا على ما تقوم به هذه الجوارح، فعندما قالت اليهود يد الله مغلولة كانوا يقصدون أنه بخيل كما قال ابن كثير ولم يقصدوا أن يديه موثقة، فرد الله عليهم بقوله **:{ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ }** ( المائة 64) ليدل على واسع كرمه سبحانه لأن الإنفاق باليدين يدل على شدة العطاء والجود. وحين يريد أحد أن يصف قدرته على غيره يقول هو في يدي وفي قبضتي. وللتأكيد على الملك والقدرة يقول هو في يميني ومنه ملك اليمين، وفي لسان العرب (وجه الشيء مستقبله، قال تعالى : **{فأَيْنَما تُوَلُّوا فثَمَّ وَجْهُ اللهِ}** ووجه النهار أوله ، وقال ابن كثير **{ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي }** ( طه 39) أي بمرأى منا و**{ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا }** (القمر 14) أي بمرأى منا.